عقيدة الطبيعة الواحدة

ظهور بدعة الطبيعتين فى التاريخ

بدأ النقاش حول طبيعة السيد المسيح فى بداية القرن الخامس الميلادى . وأثار هـذا النقـاش نسطور بطريرك القسطنطينية ، الذى للأسف الشديد أدى إلى انقسام الكنيسة . وسنعرض الآن المراحل التاريخية التى مرت بها هذه البدعة وكيف انتهت إلى انقسام الكنيسة .

أولاً : بدعة نسطور

أراد نسطور بطريرك القسطنطينية أن يفسر كثيراً من الحوادث التى ظهر فيها السيد المـسيح بمظهر الضعف ، ولما عجز عن ادراك الأسرار الإلهية فى التجسد أفتى بأن للـسيد المـسيح طبيعتين وشخصيتين ، واحدة إلهية والثانية ناسوتية (أى انسانية) . وكان يفسر الإنجيل على هذا الأساس ، فمثلاً لا ينبغى أن نسمى السيدة العذراء والدة الإله بل والدة جـسد المـسيح ، وعاب على المجوس سجودهم للطفل وحذف الجزء الأخير من الثلاثة تقديسات (يا من ولـد من العذراء – يا من صلب عنا – يا من قام من الأموات ... (ارحمنا) ... وتعذر عليه تفسير آلام السيد المسيح وقضية الفداء لأنه قال إن الذى مات على الصليب هو جسد الإنسان يسوع وبذلك يكون الفداء تم بدم انسان واستند لرأيه بكلمات السيد المسيح التى تكشف الضعف والألم ... إلخ .

البابا كيرلس الكبير السكندرى عامود الدين :

هيأت العناية الإلهية البابا كيرلس (٤٢٩م) للرد على نسطور ، فأرسل له خطاباً يشرح فيه كل ما يختص بطبيعة السيد المسيح قائلاً : " إن مريم العذراء لم تلد إنساناً عادياً بل إبـن الله المتجسد . لذلك حقاً هى أم الرب وأم الله ... وإن الكلمة لأجلنا ولأجل خلاصنا أخـذ جـسدنا واتحد به – وصار جسداً " (يو١:١٤) .

وسماه القديس متى عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا . وأما القديس مرقس فذكر لنا أن رئـيس الكهنة عندما سأل السيد المسيح قائلاً ((هل أنت إبن الله . رد عليه قائلاً ((نعم أنا هو وسوف ترون إبن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً فى سحاب السماء)) (مر ١٤ : ٦١ ، ٦٢) .

وبيَّن أيضاً القديس كيرلس فى الرسالة أن اتحاد اللاهوت بالناسوت أشبه باتحاد النار بالحديد . فالحديد لا يصاغ ما لم يكن محمياً بالنار ، وحين يطرقه الحداد يقع الطرق على الحديد وحده دون النار مع كونها متحده به – وهذا الاتحاد بين النار والحديد اتحاداً لا يشوبه اخـتلاط ولا

امتزاج ولا تغيير . فالنار تظل محتفظة بطبيعتها النارية ، والحديد يظل محتفظاً بطبيعته الحديدية . وعلى هذه الصورة اتحد نار اللاهوت بمادة الناسوت .

انعقاد مجمع أفسس سنة ٤٣١ م :

دعا إليه الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير وحضره ٢٠٠ أسقفاً ، ورأسه القديس كيرلس الكبير وكان يصاحبه الأنبا شنوده رئيس المتوحدين . وقرر المجمع حرمان نسطور ونفيه إلى مدينة أخميم ، وحرمان من ينادى بعقيدة الطبيعتين . ووضع مقدمة قانون الإيمان التى صاغها القديس كيرلس وهى ((نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا ...)) . وبهذا تكون الكنيسة القبطية وعلى رأسها القديس كيرلس هى التى ثبتت للسيدة العذراء لقب والدة الإله أم النور .

ثانياً : بدعة أوطاخى

كان أوطاخى رئيساً لدير للرهبان بالقسطنطينية ، وقد غالى جداً فى مقاومة النساطرة (أتباع نسطور) مما جعله يهودى فى بدعة مضادة . وهذه البدعة تقول ((إن السيد المسيح طبيعة واحدة لاهوتية ، وأنه لم يتخذ من الحشا البتولى جسداً مماثلاً لجسدنا ولكنه مر به مروراً خيالياً)) . هذا يعنى أن الطبيعة اللاهوتية لاشت الطبيعة الناسوتية .

خاف فلابيانوس بطريرك القسطنطينية من البدعة الجديدة وبدأ يقاومها بشدة مما جعله يؤكد بافراط الطبيعة الإنسانية ووقع بدون أن يدرى فى بدعة نسطور وتبعه فى هذا التيار بطريرك روما . وهكذا بدأ الغرب ينحرف من جديد نحو النسطورية (مذهب الطبيعتين) الذي سبق أن حرمها مجمع أفسس الأول برآسة كيرلس عامود الدين . لذلك انعقد مجمع أفسس الثاني برياسة البابا السكندري ديسقورس وحرم فلابيانوس.

ثالثاً : تكتل القسطنطينية وروما ضد البابا ديسقورس

بعد موت الملك ثيؤدوسيوس الصغير بدون نسل ، اندفعت أخته الراهبة بوليكاريا نحو الملك ونقضت نذر بتوليتها وتزوجت من القائد الشرير مرقيان . واعترض جميع الأساقفة على زواج راهبة ، ماعدا أسقف روما الذي أعطاها الحل بالزواج . ومن هنا توطدت العلاقة بين أسقف روما والملكة بوليكاريا . وبعد أن أصبحت بوليكاريا ملكة وخضع لها بطريرك روما ، أصبحت لا تطيق أي نفوذ بجوار نفوذها وخاصة البابا السكندري الذي ذاع صيته في المجامع المسكونية . ولقد كانت الفرصة مواتية لبطريرك روما ليطلب العفو عن فلابيانوس المحروم رغم أنه كان قد مات الذي سبق أن حرمه البابا ديسقورس في مجمع أفسس الثاني . فأرسل لاون أسقف روما إلى الامبراطور طالباً منه أن يعقد مجمعاً لتبرئة فلابيانوس . وبذلك يكون

أسقف روما هو الذي فتح المجال للجدل من جديد ... ولم يكن يدري أنه بذلك أخطأ أعظم خطأ في تاريخ الكنيسة الذي انتهي بانقسامها . وانتهزت الملكة الشريرة هذه الفرصة لتزج بنفسها في أمور الكنيسة ووقفت جنباً إلى جنب مع أسقف روما ... فدعت إلى عقد مجمع خلقيدونية.

رابعاً : مجمع خلقيدونية وانقسام الكنيسة منه

ما أن انعقد المجمع حتى وقف أساقفة روما مطالبين بمحاكمة البابا ديسقورس ، وتساءل الجميع لماذا ؟ ... فكان الرد ((لقد تجرأ ديسقورس على عقد مجمع أفسس الثانى بدون ترخيص من أسقف روما)) . ومن هذه العبارة ينكشف لنا أن السبب فى عقد المجمع لم يكن هو الدفاع عن العقيدة بل حب سيطرة الغرب على كنيسة الأسكندرية .

وإتُهم ديسقورس أنه يعتقد بعقيدة أوطاخي ، ورد عليهم البابا المعلم بأن إيمانه هو إيمان كيرلس وأن الطبيعة الإلهية اتحدت بالطبيعة الناسوتية بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير – وهذا عكس ما يقول به أوطاخي أن الطبيعة اللاهوتية لاشت الطبيعة الناسوتية بعد أن امتزجت بها.

ثم توالت التهم على ديسقورس بعيدة كل البعد عن العقيدة ومنها أنه يحرض المصريين على عدم إرسال القمح إلى القسطنطينية. وتهمة أخري أنه قتل فلابيانوس ... وتهمة أخري أنه قبل أوطاخي بعد أن تاب واعترف بإيمان كيرلس ... وحكم هذا المجمع المزيف بحرمان ديسقورس ونفيه في جزيرة غاغرا.

خامساً : اضطهاد الكنائس التي تؤمن بالطبيعة الواحدة

بعد أن أصدر الامبراطور أمراً بتعيين بطريركاً آخراً بدل البابا ديسقورس ، وأرسل رسالة يتوعد فيها كل مصري يجرؤ على عصيان أوامره. ولكن هذا التعسف أدي إلى عكس ما كان يرجوه الامبراطور، فإن المصريين ثاروا في وجه هذا التعسف البيزنطي. ومثل هذا حدث في كنيسة أنطاكية (سوريا) وكنيسة أورشليم.

وظل البطريرك الذي يفرض على الإسكندرية يونانيا حتى جاء المقوقس البطريرك اليوناني الذي تولي السلطة المدنية مع الدينية . ولقد أذاق المصريين ألوان العذاب ... وهرب من وجهه البطريرك المصري البابا بنيامين (٣٨) وبقية الأساقفة ... ولقيت الكنيسة المصرية من كنيسة الغرب اضطهاداً شبيهاً باضطهاد القرون الأولى ... إلى أن دخل عمرو بن العاص مصر وأعطي المصريين الأمان وعاد البابا بنيامين إلى كرسيه بعد أن زال سلطان روما والقسطنطينية من على مصر.

ومن عصر خلقيدونية إلى يومنا هذا انقسمت الكنيسة إلى قسمين: كنائس تؤمن بالطبيعة الواحدة (وهي الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم) وكنائس تؤمن بالطبيعتين (وهي روما والقسطنطينية). ومازالت الكنيسة إلى يومنا هذا تقاسي الآم هذا الانقسام.

بدعة الطبيعتين في ضوء العقيدة الأرثوذكسية

بدعة نسطور :

نادي نسطور بأن للسيد المسيح طبيعتين وشخصيتين وأنه لا يصح أن نسمي العذراء والدة الإله يسوع في الجسد ... وأن هناك أحداث تمت على الصليب مثل الإهانات لا تليق بالله. وبذلك فصل الطبيعتين. وسنعرض فيما بعد اعتراضاته والرد عليها.

والحقيقة أن الفكر الغربي في ذلك الوقت لم يصل لدرجة نضج الفكر الشرقي في الأمور اللاهوتية والعقائدية وخاصة موضوع تجسد الله. والكنيسة تسميه سر التجسد لما يحوط به من أسرار إلهية تحتاج إلى عمق روحي لفهمها . والكتاب المقدس ذاته يقول " عظيم هو سر التقوي الله ظهر في الجسد " (١تي ٣: ١٦).

والفكر النسطوري (عقيدة الطبيعتين) هو بلا شك الأساس العقائدي للفكر البروتستانتي من ناحية أن العذراء ليست والدة الإله. كذلك هو الأساس الفكري للديانات التي ترى في السيد المسيح إنساناً فقط حل عليه روح الله وليس هو الله ، كذلك هو الأساس لوجود فكرة الطبيعتين بعد الاتحاد الموجودة في كنيسة روما والقسطنطينية.

ورغم أن مجمع أفسس حرم نسطور إلا أن فكره مازال ينتشر بصورة أو بأخري في القسطنطينية وروما حتى جاء مجمع خلقيدونية كما سبق وذكرنا. بعد ذلك انتشر النساطرة في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس في العراق وجنوب فلسطين وشمال الجزيرة العربية . ولازال بعض النساطرة حتى الآن في بعض بلاد العراق وحدود إيران وفي بلدة ملبار بالهند.

بدعة أوطاخي:

نادي أوطاخي أن للسيد المسيح طبيعة واحدة لاهوتية وأن لاهوته مرّ مروراً في الحشا البتولي ، وأن جسد السيد المسيح جسد خيالي وأن الطبيعة اللاهوتية لاشت الناسوت . وللأسف مازال الغرب يعتقد أن الكنيسة القبطية كنيسة أوطاخية مع أن الكاهن دائماً يعترف في القداس أن اللاهوت لم يمتزج بالناسوت ويقول: " إن هذا هو الجسد المحيي الذي لإبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، أخذه من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير" . إذاً فالكنيسة برئية من الفكر الأوطاخي.

إيمان الكنيسة القبطية بالطبيعة الواحدة:

+ " إن للسيد المسيح طبيعة واحدة تجتمع فيها الصفات والخصائص الناسوتية وجميع الصفات الإلهية بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير – وهذا هو الإيمان الذي يجاهر به الكاهن القبطي في القداس ".

+ " السيد المسيح إذن من طبيعتين – وليس هو طبيعتين بعد الاتحاد – كما يقول البابا ديسقورس ". واللاهوت لم يمتزج بالناسوت ولا اختلط به وإنما اتحد به . واتحادهما ليس من قبيل المصاحبة أو الاجتماع أو الاقتران ولكن اتحاد بالمعني الحقيقي لكلمة اتحاد ... ولا مجال للقول بعد الاتحاد أن هناك طبيعتين (كما تقول كنيسة روما) ، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحاً أو حقيقياً.

وكيف تم هذا الاتحاد بدون امتزاج ؟

هذا الأمر ليس في مقدور الإنسان أن يدركه لكنه يؤمن به لأنه سر ، لذلك سمي سر التجسد الإلهي والرسول يقول عنه " عظيم هو سر التقوي الله ظهر في الجسد " (١تي ٣: ١٦). وإن كنا نتكلم أحياناً عن الطبيعة اللاهوتية والناسوتية ، فهي تفرقة ذهنية لا وجود لها في الواقع بالنسبة للسيد المسيح – الإله المتجسد – الكلمة الذي صار جسداً. وكلمة صار لا تحمل معني الثنائية. ولتقريب معني الاتحاد بدون امتزاج إلى أذهاننا ، ذكر لنا أبونا القديس كيرلس الكبير عامود الدين هذا التشبيه : إن اتحاد اللاهوت بالناسوت قد يشبه اتحاد الفحم بالنار في جمرة الفحم. ففي جمرة الفحم توجد صفات الإضاءة والإحتراق ، وفيها أيضاً صفات المادة من كتلة ووزن وحجم ... كذلك تقول عن طبيعة الإنسان " الطبيعة البشرية " مع أنها مكونة من جسد وروح ولكنها طبيعة بشرية واحدة تحمل صفات روحانية ومادية معاً. مع العلم بأن جميع هذه التشبيهات ناقصة ، فمثلاً في الطبيعة البشرية يحدث انفصال عند الموت بخروج الروح من الجسد.

+++++

لماذا تتمسك الكنيسة القبطية بعقيدة الطبيعة الواحدة التى لها صفات الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ؟

أولاً : لا يوجد نص فى الإنجيل يقول بالطبيعتين بعد الاتحاد ، بل بالعكس كل النصوص تتحدث عن طبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين .

١- ((الكلمة صار جسداً)) (يو١:١٤) .

٢- ((... فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى إبن الله)) (لو١:٣٥) .

٣- ((وسجود المجوس للطفل يسوع)) (مت٢:١١) .

٤- ((هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد ...)) (يو٣:١٥) .
٥- ((أنا هو الأول والآخر ، والحى وكنت ميتاً ، وها أنا حى إلى دهر الدهور ولى مفاتيح الموت والجحيم)) فلكلمة أنا هنا تحمل معنى طبيعة واحدة لها خواص اللاهوت (الحياة) وخواص الناسوت (الموت) .
٦- ((ولم يصعد أحد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء إبن البشر الذى هو فى السماء)) (يو٣:١٣) .
٧- ((احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التى أقتناها بدمه)) (أع٢٠:٢٨) .
٨- ((لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد)) (١كو٢:٨) .
٩- ((عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد)) (١تى٣:١٦) .

ثانياً : إن قول الكنيسة الغربية بالطبيعتين بعد الاتحاد لا يفسر إيمانها بأن العذراء والدة الإله ، لذلك نرى أن الفكر البروتستانتى من ناحية العذراء مريم قد خرج من الفكر الكاثوليكى القائل بالطبيعتين بعد الاتحاد . لكن تعبير الكنيسة القبطية بالطبيعة الواحدة يفسر ببساطة الاعتقاد بأن العذراء والدة الإله المتجسد وتبعدنا تماماً عن الفكر النسطورى ونظيره البروتستانتى القائل بأن العذراء والدة الإنسان يسوع . لذلك فرغم تكريم الكاثوليك للعذراء مريم لكن عقيدة الطبيعتين لم تسعفهم فى محاربة البدع البروتستانتية التى هاجمت العذراء والدة الإله ((أم ربى)) .

ثالثاً : إن القول بالطبيعتين بعد الاتحاد أدى إلى ظهور طوائف بروتستانتية متطرفة أنكرت لاهوت المسيح مثل طائفة شهود يهوه والسبتيين وعقائد مختلفة فى العالم تنكر لاهوت السيد المسيح .

رابعاً : إن تعبير الطبيعتين بعد الاتحاد يهدم قضية الفداء والخلاص الذى قام به السيد المسيح . فعلى أساس الطبيعتين تكون الطبيعة الناسوتية هى التى أتمت عمل الفداء ، وأن الدم الذى سفك دم بشرى عادى وليس دم إبن الله . حقاً إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التى هى من خواص الناسوت. ولكن اللاهوت المتحد بالناسوت فى طبيعة واحدة هو الذى أعطى الصليب قوته اللانهائية فى الفداء كقول الرسول ((... ارعوا كنيسة الله التى أقتناها بدمه)) (أع٢٠:٢٨) .

حجج أصحاب الطبيعتين والرد عليها

أولاً : ميلاد كلمة الله الذى صار جسداً من امرأة . وفى ذلك يقولون إن الذى ولد من العذراء هى طبيعة إنسانية كما سبق فقلنا . والرد على ذلك إن هذا الاتحاد تم فى بطن العذراء بسر عظيم . لذلك قال لها الملاك ((لذلك المولود منك يدعى إبن الله)) ، ((ويدعى إسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا)) وقال عنه الرسول ((ولما جاء ملء الزمان أرسل إبنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى)) (غل٤:٥) .

ثانياً : احتمال السيد المسيح للإهانة (اللطم والبصق والتجديف والسب والجلد) . ولكى نفهم ذلك علينا أن نعرف :

١- أن الإبن الكلمة السماوى للآب فى الجوهر (صورة الله) أخلى ذاته بارادته وأخذ شكل العبد محبة فى الإنسان . وإذ وجد فى الشكل كإنسان أطاع الآب وكان يتكلم معه كعبد . وخضع للآب حتى الموت لكى يخلصنا كقول الرسول ((إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله لكنه أخلى ذاته آخذاً شكل العبد وإذ وجد فى الهيئة كإنسان أطاع حتى الموت موت الصليب)) (فى٢:٦) . وأيضاً صرخ كعبد للآب وقال ((إلهى إلهى لماذا تركتنى)) وكعبد قال ((أبى أعظم منى)) – لأنه بإرادته ترك مجده (أخلى ذاته) بإرادته ورضى كعبد أن يأخذ مجده من الآب نظير طاعته لذلك يقول ((أيها الآب مجدنى بالمجد الذى كان لى قبل كون العالم)) .

فحياة المسيح على الأرض بالجسد كانت حياة تخلية كاملة بكامل إرادته ، مثل ملك عظيم جداً فى سلطانه ، وعظيم جداً فى تواضعه وعظيم جداً فى محبته لرعيته . هذا الملك خلع حلته الملوكية ولبس ملابس الجنود بإرادته ليساعد مخدوميه ويحارب عنهم وينقذهم – لذلك احتمل كل إهانة فى الحرب من أجلهم ، وبعد أن انتصر وهزم أعداءهم رجع ولبس حلته الملوكية . ومع ذلك فشخصية الملك لم تتغير لأنه عندما أخلى ذاته – كان ذلك بكامل إرادته . كذلك فالسيد المسيح عندما جاء إلى العالم أخلى ذاته (خلع حلة مجده) من مجد لاهوته ، ثم لبس لباس البشر (أى أخذ جسدهم) . وبعد أن قيد الشيطان رجع إلى مجده الذى كان له قبل كون العالم . لذلك جاء الرب للعالم وصار جسداً وحارب عنا وهزم الشيطان .

٢- إن السيد المسيح جاء إلى العالم متخلياً عن مجده ليحمل خطايانا – خطايا الزنى والقتل والسرقة والحقد ... لذلك فالإهانات من بصق وضرب ولطم وجلد ليست أكثر من شرور المرأة الزانية واجرام اللص التى حملها عنهم . لذلك هو احتمل كل هذه الإهانات . ونحن نؤكد أن طبيعة السيد المسيح الواحدة تحمل الصفات الإلهية والناسوتية – والصفات الناسوتية قابلة للإهانة .

٣- السيد المسيح عندما أخذ جسدنا صار واحداً منا – أخونا البكر . لذلك هو احتمل العقاب نيابة عنا وحارب الشيطان نيابة عنا ، وانتصر من أجلنا – وتكلم بلساننا – لسان العبيد قائلاً ((إلهى إلهى لماذا تركتنى)) – هو صار رأساً للكنيسة وما يحدث للكنيسة يحدث له . لذلك يقول الرسول عنه ((فدفنا معه بالمعمودية للموت)) (رو٦:٣) . وأقامنا معه . فالكنيسة هى جسد المسيح ، ولذلك هو ارتفع على الصليب نيابة عن البشرية كلها وهو الذى أخلى ذاته تكلم كعبد بلسان كنيسته (جسده) إلى الآب إله الكنيسة قائلاً إلهى إلهى (أى إله الكنيسة التى أنا رأسها) لماذا تركتنى (أى لماذا تركت الكنيسة التى أنا رأسها وهى جسدى) .

ثالثاً : قول السيد المسيح لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك .

فأصحاب الطبيعتين يقولون بوجود طبيعتين ومشيئتين بعد الاتحاد مستدلين على رأيهم من هذا القول : والحقيقة :

١- أن السيد المسيح يتكلم نيابة عن الكنيسة (جسده) لكى يعلمها الخضوع لمشيئة الآب فى قيادته لها خاصة لحظات الآلام .

٢- ليس هناك نص فى الإنجيل يثبت لنا أن السيد المسيح تصرف تصرفاً واحداً ضد مشيئة الآب – ومن ذلك نستنتج أن مشيئة الإبن هى مشيئة الآب .

رابعاً : عندما سألوه عن الساعة فقال لهم إن هذه الساعة لا يعرفها أحد ولا الإبن إلا الآب . يجب أن نتذكر أن السيد المسيح تخلى عن كل مجده فى السماء ، لذلك هو يعرف الساعة ولكنه تخلى عن حق إعلانها كعبد .

خامساً : كيف مات السيد المسيح على الصليب ؟

الموت يحدث بانفصال النفس من الجسد . والسيد المسيح مات على الصليب عندما انفصلت نفسه من جسده ، ولكن لاهوته فى طبيعته الواحدة لم ينفصل قط لا من جسده ولا من نفسه ، لذلك كانت القيامة أمراً بسيطاً لأن اللاهوت لم ينفصل لا من الجسد ولا من النفس .

خلاصة القول إن أصحاب الطبيعتين فى الواقع يعبرون عن فهم لاهوتى سطحى – وأن كنيسة الأسكندرية المتعمقة فى المعرفة الروحية واللاهوتية هى التى استطاعت أن تقود الفكر المسيحى العالمى للصواب .

خطورة الإيمان بالطبيعتين على العبادة المسيحية

أولاً : تجعل المسيحى فى حيرة بالنسبة لكثير من الحقائق الخاصة بلاهوت السيد المسيح وأعماله .

ثانياً : العبادة المسيحية تعتمد على وجود الله فى حياة الإنسان ، فالمؤمنون بالطبيعة الواحدة يحسون إحساساً عميقاً بأن الله يدخل فى أعماق حياتهم الروحية والمادية ... فالكنيسة تصلى

على الماء فيحل عليه روح الله ويقدسه ويعطيه قوة الولادة الجديدة ، وهذا ما لا يستطيع أن يدركه الفكر البروتستانتى . والصور المدهونة بزيت الميرون فيها قوة الشفاء مثل مناديل وعصائب الرسول بولس التى كانت تشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة ... والمادة والطعام تتقدس بالصلاة .

ويحس المؤمن بالطبيعة الواحدة أنه هيكل للروح القدس – وأنه عضو فى جسد المسيح – سواء كان على الأرض أو فى السماء ، وهنا يدرك عمق العلاقة بين الإنسان المنتقل للسماء والإنسان على الأرض (أى شفاعة القديسين) ... إلخ .

ولكن الذين آمنوا بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد خرج منهم طوائف كثيرة ، فلم تعترف بحلول الله فى الأسرار السبعة لأنها أمور مادية – وأنكروا شفاعة المنتقلين للسماء والقديسين وأساءوا إلى جسد العذراء الذى سكن فيه الله تسعة أشهر وأخذ جسده منها ...

لذلك نحن لا نتمسك بعقيدة الطبيعة الواحدة لمجرد الجدل ولكن لأهمية هذه العقيدة على عبادتنا وروحانيتنا. لذلك فالعقيدة الأرثوذكسية التي تؤمن بالطبيعة الواحدة لم يخرج منها بدعة واحدة ، وإن وجد في الكنيسة طوائف كثيرة فهي كلها مستوردة من الغرب.

القصد من هذا البحث:

ليس القصد هو إشاعة الفرقة أو الجدل – فالسيد المسيح يريد كنيسة واحدة ويحزن لتمزق كنيسته ، ولكن القصد هو الكشف عن الحقيقية التي إذا سعي إليها الجميع وصلوا للحق.

والحقيقة أن الكنيسة الكاثوليكية تكرم العذراء مريم إكراماً جزيلاً رغم إيمانها بالطبيعتين وهذا مما يؤكد لنا أن الخلاف الآن في موضوع الطبيعتين بين الكنيسة القبطية والكاثوليكية هو خلاف لفظي يحتاج إلى مجمع من الكنيستين لإصلاحه. والحق يقال إن الكنيسة الكاثوليكية هذه الأيام تسعي جاهدة لإصلاح ما أفسده الدهر لكي ننتهي جمعياً إلى وحدانية الإيمان للكنيسة ، الوحدة كما أرادها السيد المسيح.

والأقباط الكاثوليك في مصر يقولون في قداسهم الأعتراف الأرثوكسي بالطبيعة الواحدة بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير وبذلك يقتربون في فكرهم للكنيسة الأم أكثر مما إلى كنيسة روما.

نشكر الله من أجل كل مجهود وكل صلاة مختلطة من أجل الوحدة بين الكنائس ... الوحدة في الإيمان وليست الوحدة العالمية المظهرية.

إن وصول جسد مارمرقس إلى كنيسته الأولي لهو خطوة جريئة من بابا روما نحو العمل الموحد– لكي تكون بمصر كنيسة واحدة كما كان من مائة سنة.

وإن ظهور السيدة العذراء في العام الماضي بالزيتون لهو لفتة سماوية من العذراء نحو الكنيسة التي ثبتت لها لقب والدة الإله وأم النور- ودافعت عن هذا اللقب (الإيمان بالطبيعة الواحدة) خمسة عشر قرناً رغم الاضطهاد والنقد المستمر لها من الخارج.

الله القدوس الذي أحب الكنيسة وبذل ذاته لأجلها يعود بها إلى وحدة الإيمان لكي تكون جسداً واحداً آمين.